فاربأ بنفسك عن مقالٍ قالهُ اهل التحوّل خالف المحسوسا
اخذوا بطارقة الخوارق واتشوا يتخرصون دوارساً ودروسا
وذرِ التكهّن والتعرف والرقى والسحرَ والتنجيمَ والتجيسا
والجن والاملاك طرًّا والذي يدعونهُ في عرفهم ابليسا
واعمد الى الوجدان لاتعدل بهِ شيئاً ولو مطر الغمام طقوسا
فالدين ما سنّ الضمير محذّرًا يوماً على المتعطلين عبوسا
جلّ الذي خلق الوجود واوجد الانسان حرًّا مثلهُ قدوسا
ان شاء نال كما يشاء سعادةً او شاء كان كما يشاء تعيسا
واذا نظرتَ الى الوجود رأيتهُ بالحب يحيا سانساً ومسوسا
ورأيت حبَّ الذات فيهِ لم يزل من يوم ربك للبقا ناموسا
والناس لولا حبهم للذات ما شربوا على بعض الامور كؤوسا
وبغير صرّح الدين عند اليأس لا تجد النفوس معاذها مأنوسا
قالوا المجرب خير من وصف الدوا اني لذاك نخذ بقولي تُوسا
فانا الذي اتخذ المصائب خلةً واليأس خدناً والعذاب جليسا
والدين آخر ما يزول اذا اغتدت هذه العوالم ظلمةً حنديسا

تامر ملاّط

اخلاق الشعراء

الشعر ديوان الامة وعنوان ادبها وبرهان اخلاقها وجامع تاريخها لهُ بين كل قوم مظهر وعند كل قبيل منزع . فان امتاز شعر الالمان بانهُ مباءة الحكمة ومدرك العقل الفعّال واشتهر شعر الانكليز بجودة بحثهِ في الاخلاق والاجتماعات واختص شعر الفرنسيس بالنسيب والتشبيب ووصف الطبيعة فاحسن ما أُثر عن العرب في الجاهلية والاسلام شعر الحماسة والمديح والهجاء ضروب من الشعر يرى فيها الناظر اكبر دليل على الاخلاق في كل عصر وخصوصاً في القرون الاخيرة . وقد زاد الشعراء الى رداءة التعبير والتصوير فساد القلب واختلال الضمير فكان ذلك منهم حشفاً وسوء كيلة

ان صحّ ان التلوّن في المشرب مستحكم من فئة فالشعراء في مقدمة من تغلب عليهم المطامع

ويحاولون بالتفضل درك المأمول فيلبسون الباطل شعار الحق ويوغلون في المبالغة الغثة الباردة. قال لي احد الافاضل يوماً لو كان في من الامر شيء لسلمت السن الشعراء الاَّ قليلاً لانهم سنوا سُنّة الكذب فعظموا ممدوحيهم ورفعوا اقدارهم الى ما لم يكن لهم في حسبان بلغوا بالملوك منازل الربوبية واثبتوا لهم العظمة والكمال واوهموهم ان في حياتهم حياة الوف الالوف من البشر وانهُ لا يستقيم الوجود بدون وجودهم الى ما ضارع ذلك من الاباطيل والاضاليل وراح بعضهم يتعذر بان اللّٰهما تفتح اللّٰهي وان الانسان عُبَيْد الاحسان

لا ارحمُ الشعراء كلما رأيت العظماء يرهقونهم بما قدمتهُ ايديهم اذ قد اكسبوهم العزة والجبروت ومشوا كدوّارة الهواء ذات اليمين وذات الشمال. ومَن اعان ظالماً سلطهُ الله عليه. ولطالما سيم زعماء القريض سوء العذاب وقلّب لهم زعماء الحكم في حال غضبهم ظهر المجنّ فكانوا من الاخسرين اعمالاً. رثى الفرزدق الحجاج ليرضي بذلك الوليد بن عبد الملك ولما هلك الوليد واستخلف سليمان استعمل يزيد بن المهلب على العراق وامرهُ بقتل آل ابي عقيل فقتلهم فانشأ الفرزدق يقول:

لئن نفر الحجاج آل معتّب لقوا دولة كان العدو يرى لها
لقد اصبح الاحياء منهم اذلةً وموتاهم في النار كلحاً سبالها (١)
وكانوا يرون الدائرات بغيرهم فصار عليهم بالعذاب انتقالها
وكنا اذا قلنا اتقِ الله شمّرت بهِ عزّة لا يستطاع جدالها
ألكني (٢) الى من كان بالصين اذ رمت بهِ الهند الواحاً عليها جلالها
هلمّ الى الاسلام والعدل عندنا فقد مات من ارض العراق جبالها
الا تشكرون الله اذا فك عنكم اداهم (٣) بالمهديّ صناً قفالها
وشيمت بهِ عنكم سيوف عليكم صباح مساء بالعذاب استلالها
واذ انتمُ من لم يقل هو كافر تردى نهاراً عثرة لا يُقالها

قال ابن عباس فقلت للفرزدق ما ادري باي قوليك نأخذ أبمدحك الحجاج في حياته ام هجوك له بعد موته. قال انما نكون مع احدهم ما كان الله معهُ فاذا تخلى عنهُ تخلينا عنهُ (٤) هذا

(١) كلح كمنع كلوحاً وكلاحاً تكشر في عبوس والسبلة محركة الدائرة في وسط الشفة العليا او ما على الشارب من الشعر او طرفهُ او مجتمع الشاربين او ما على اللحين الى طرف اللحية كلها او مقدمها خاصة جمع سبال

(٢) قال ابن الانباري الكني الى فلان براد به ارسلني من الاَّ لوكة وهي الرسالة (٣) الاداه جمع ادم وهو القيد

(٤) اعتمدت في اكثر هذه الاخبار على روايات الكامل لابن الاثير والكامل للمبرّد والعقد الفريد لابن عبد ربه

والفرزدق كان سجون النقيبة شهد لهُ يزيد بن المهلَّب بانهُ ما رأى اشرف نفساً منهُ هجاهُ ملكاً ومدحهُ سوقةً . اما الحجاج فهو الذي اجمعت الامة على انهُ من اظلم الامراء وفيهِ يقول احد واصنيهِ لو فاضلت كل امة بمنافقيها لفضلناهم بالحجاج . قيل ان مَن قتل الحجاج صبرًا مائة وعشرون الفًا وقيل عُرضت السجون بعد الحجاج فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين الفًا لم يجب على واحد منهم قتل ولا صلب . فهل يؤوَّل ما صدر عن الفرزدق بغير الطمع الاشعبيّ الذي يولي الشعراء وجيتهم اليهِ انى تراءى لهم

قيل للحزيمي ما بال مدائحك لمحمد بن منصور احسن من مراثيك قال كنا حينئذٍ نعمل على الرجاء ونحن اليوم نعمل على الوفاء وبينهما بون بعيد. والدليل على صحة هذا المعنى وصدق هذا القياس ان كُثيّر عزّة والكُميت بن زيد كانا شيعيين غاليين في التشيع وكانت مدائحها في بني أُمية اشرف واجود منها في بني هاشم وما لذلك علة الاَّ اسباب الطمع

ارأيت ابا الطيّب المتنبيّ يمدح كافور الاخشيدي ويذمهُ . مدحهُ لما كان يرجوهُ من نوالهِ وذمهُ لما يئس منهُ وكذلك فعل مع سيف الدولة بن حمدان مع ان هذا عاملهُ معاملة قلما عوملها شاعر . فاين الاخلاق ؟ وهل يلام ذانك الممدوحان المهجوان في آن واحد اذا هما اعرضا عن مدح شاعرهما وذمهِ وعدَّاهُ هُراء مهوّس وهذيان مختلّ . ولكن من يهزّهُ الاطراء والثناء يؤذهِ الطعن والهجاء . وما اكبر المتنبيّ في مقدمات قصائدهِ من حكمٍ ونسيبٍ وما اصغرهُ في مدحهِ وقدحهِ فانهُ في الحال الثانية يشبه القرّاد المخرق الذي لا يرفع عقيرتهُ بالثناء الاَّ على من يسبق فيرضخ لهُ بدريهمات . وأين نفس المتنبيّ من نفس عتبة الاَّ في وقت قدم على معاوية ودفع اليهِ رقعة يقول فيها :

معاوي انا بشرٌ فاسجح[1] فلسنا بالجبال ولا الحديدِ
اكلتم ارضنا فجردتموها فهل من قائم او من حصيدِ
اتطمع بالخلود اذا هلكنا وليس لنا ولا لك من خلودِ
فهبنا امةً هلكت ضياعًا يزيد اميرها وابو يزيدِ

قيل فدعا بهِ فقال ما جرَّأك عليَّ . قال نصحتك اذ غششتك وصدقتك اذ كذبوك . فقال ما اظنك الاَّ صادقًا وقضى حوائجهُ

---

(١) الاسجاح حسن العفو ومنهُ المثل السائر في العفو عند المقدرة ملكت فاسجح وهو مرويّ عن عائشة قالتهُ لعليّ (رض) يوم الجمل حين ظهر الناس قدنا من هودجها ثم كلمها بكلام فاجابتهُ ملكت فاسجح اي ظفرت فاحسن وقدرت فسهل واحسن العفو (تاج العروس)

جاء في أُسد الغابة ان سعد بن ابي وقاص لما اعتزل فتنة عثمان ولم يكن مع احد من الطوائف المتحاربة طمع فيهِ معاوية وفي عبدالله بن عمرو في محمد بن مسلمة فكتب اليهم يدعوهم الى ان يعينوهُ على الطلب بدم عثمان ويقول انكم لا تكفّرون ما اتيتم من خذلانهِ الاَّ بذلك فاجابهُ كل واحد منهم يرد عليهِ ما جاء بهِ وكتب اليهِ سعد :

معاوي داؤك الداء العياء وليس لما تجيءُ بهِ دواء
ايدعوني ابو حسن عليٌّ فلم اردد عليهِ ما يشاء
وقلتُ لهُ أعطني سيفاً قصيراً تميز بهِ العداوة والولاء
اتطمع في الذي اعيا عليًّا على ما قد طمعت بهِ العفاء
ليومٌ منهُ خيرٌ منك حيًّا وميتاً انت للمرء الفداء

ويروى عن ابي عمرو بن العلاء لما سألهُ سليمان بن عليّ عمّ السفاح عن شيء فصدقهُ فلم يعجبهُ فوجد (اي غضب) ابو عمرو في نفسهِ وخرج وهو يقول :

أُنفت من الذل عند الملوك وان اكرموني وان قرّبوا
اذا ما صدقتهمُ خفتهم ويرضون مني ان يُكذَبوا

اسرف الحسين بن الضحاك في مراثي الامين وذم المأمون مع ان الفرق بين الاخوين ابعد من الخافقين فحجبهُ المأمون مدة ولم يسمع مديحهُ ثم احضرهُ يوماً وسألهُ عما كان من امرهِ فقال لهُ يا امير المؤمنين : لوعة غلبتني وروعة فاجأتني ونعمة سلبتها بعد ان غمرتني واحسان شكرتهُ فانطقتني وسيد فقدتهُ فاقلقني فان عاقبت فبحقك وان عفوت فبفضلك . فدمعت عين المأمون وقال قد عفوت عنك وامرت بادرار ارزاقك عليك وعطائك ما فاتك متمماً وجعلت عقوبة ذنبك امتناعي من استخدامك ثم ان المأمون رضي عنهُ وسمع مديحهُ

ولقد جرى على عكس ذلك الوزير ابن وهب وزير المعتضد لما خاف من هجو ابن الرومي وفلتات لسانهِ بالفحش فدسَّ عليهِ ابن فراش فاطعمهُ خشكنجانجة مسمومة وهو في مجلسهِ فلما اكلها احسَّ بالسم فقام فقال لهُ الوزير الى اين تذهب فقال الى الموضع الذي يعتني اليهِ فقال لهُ سلّم لي على والدي فقال ما طريقي على النار . والوزير كما ذكرهُ ابن خلكان كان عظيم الهيبة شديد الاقدام سفاكاً للدماء وكان الكبير والصغير منهُ على وجل لا يعرف احداً من ارباب الاموال الاَّ نقمهُ

ولكن هي اخلاق المأمون ربت الضحاك ودمثت طباعهُ وضعف رأي ابن وهب قضت على ابن الرومي واذاقتهُ حتفهُ . غير انهُ قلَّ في الملوك من اعطى الناس حرية كحرية المأمون

لبني عصره والطلق حتى مع صنائعه وحاشيته . الا ترى كيف دفن ابو جعفر المنصور سديفة بن ميمون حيًّا لانهُ كتب اليهِ ابياتًا مبهمة وهي

اسرفت في قتل الرعية ظالمًا فاكفف يديك اضلها مهديُّها
فلتأتينَّك راية حمنية جرَّارة يقتادها حسنيها

فانهُ كان للخليفة بعض العذر في وأد القائل وان لم يُعذَر سفاك في قصاص احد الشاعر بن والكاتبين فقد عُرف من اخلاقهِ اعظم من هذا وكان هو هو خليفةً بان يسمَّى السفاح فهو الذي اعطى الامان لابن هبيرة وكذلك فعل بعمهِ عبد الله بن علي وبابي مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية فخانهم كلهم حتى عابهُ التاريخ على فعلتهِ

***

عرَّف علماء البيان من الافرنج الهجاء بانهُ خطاب شعري يحمل فيهِ صاحبهُ على المعايب والنقائص ويقصد بهِ تقويم اود الناس والاهابة بهم الى مهيع السداد كما يحمل ايضًا على التآليف الرديئة والاحكام الكاذبة والاقيسة الفاسدة . واقبح ما في الهجاء ناتج من سوء استعمالهِ ومن تجوُّز الهجاء مما ليس من الهجاء في شيء فاذا حُصر الهجاء في دائرة ضيقة لايتعداها ينفع المجتمع المدني كما ينفع عالم الآداب والعالم . ومن حق الهجَّاء الحقيقي ان يحمل على الاخلاق الفاسدة في الجملة وعلى مفاسد المجتمع العامة لينتقم للاخلاق والفضيلة ويهزأ باسافل المؤلفين ارادة الانتقام للعقل الصحيح والذوق السليم دون ان يقصد الى اذلال الاشخاص وهتك شعارهم والطعن في اعراضهم . وعلى الهجَّاء ان يقوم بوظيفتهِ بنغمة رصينة لاذعة او بصوت مداعب لطيف ويتحامى نشر فضائح الناس اذا اراد ان يكتب لهم دروس حكمة ينتفعون بمضامينها وعليهِ ان يعنى بان لايثير هوى الاحقاد كل الاثارة على حين يحاول اخمادها وان لايغري خبث البشر على الانبعاث ويستثير المكر من مكامنهِ بحجة انهُ يريد اصلاح المفاسد بالاستهزاء بها وان يبتعد في نقد التآليف من المساس بالشخصيات ويربأ بنفسهِ عن مزالق الغرض ويجعل كلامهُ على الاعمال لاعلى الرجال اه

قلت ولذا كان العرب يكرهون الهجاء ولا يرتاحون للتشبيب والغزل في صدر الاسلام ارتياحهم للمديح والفخر . قال معاوية لعبد الرحمن بن الحكم يا ابن اخي انك شهرت بالشعر فاياك والتشبيب بالنساء فانك تعير الشريفة في قومها والعفيفة في نفسها والهجاء فانك لاتعدو ان تعادي كريمًا وتستثير بهِ لئيمًا ولكن افخر بين قومك وقل من الامثال ما توقر بهِ نفسك وتؤدب بهِ غيرك . ولقد شكا يزيد لابيهِ معاوية تشبيب عبد الرحمن بن حسان ببنتهِ رملة

في ابيات يقول فيها "وهي بيضاء مثل لؤلؤة الغواص" فقال لهُ هلاَّ تبعث اليهِ من يأتيك برأسهِ قال بأبي لو فعلت ذلك لكان اشد عليك لانهُ يكون سبباً للخوض في ذكره فيكثر مكثر ويزيد اضرب عن هذا صفحاً واطوِ دونهُ كشحاً . ولما شبب عبيد الله بن قيس بعاتكة ابنة يزيد لم يعرض لهُ للذي تقدم من وصية ابيهِ معاوية في رملة . وكذلك فعل الحجاج واغضى عن محمد بن عبد الله بن نمير الثقفي وكأنهُ ارتاع منهُ لما رآهُ لانهُ كان يشبب بزينب بنت يوسف اخت الحجاج . هكذا كان اساطين اهل العزة والشدة مثل معاوية والحجاج يعاملون من يشبب بحارمهم اغضاء واعراضاً لامراعاة لحرية الضمير والقول . وقد كانت الاخلاق على عهد عمر بن الخطاب على غير ذلك في هذا المعنى فقد هجا الحطيئة الشاعر النصراني الزبرقان بن بدر احد الصحابة بشعر قال فيهِ

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك انت الطاعم الكاسي

فاستعدى عليهِ عمر وانشدهُ البيت فقال ما ارى بهِ بأساً قال الزبرقان والله يا امير المؤمنين ما هجيت بيت قط اشدَّ عليَّ منهُ . ولم يكن عمر يجهل موضع الهجاء في هذا البيت ولكن كره ان يتعرض لشأنهِ فبعث الى شاعر مثلهُ وامر بالحطيئة الى الحبس وقال ياخبيث لاشغلنك عن اعراض المسلمين فكتب اليهِ من الحبس يقول:

ماذا تقول لافراخ بذي مرخ (١) زغب الحواصل لا ماء ولا شجرُ
القيت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمرُ
انت الامام الذي من بعد صاحبهِ القت اليك مقاليد النهى البشرُ
ما آثروك بها اذ قدموك لها لكن لانفسهم قد كانت الاثرُ

فامر باطلاقهِ واخذ عليهِ ان لا يهجو مسلماً . ويروى ان عمر لما بعث اليهِ الحطيئة بشعرهِ رقَّ لهُ فاخرجهُ وقيل ان عمر دعا بكرسي فجلس عليهِ ودعا بالحطيئة فاجلسهُ بين يديهِ ودعا باشفى وشفرة (٢) يوهمهُ انهُ عزم على قطع لسانهِ حتى ضجَّ من ذاك فكان فيما قال الحطيئة يا امير المؤمنين اني والله قد هجوت ابي وامي وهجوت امرأتي وهجوت نفسي فتبسم عمر ثم قال لهُ فما الذي قلت قال قلت لامي :

تنحي فاجلسي مني بعيداً اراح الله منك العالمينا
أغربالاً اذا استودعتِ سرًّا وكانونًا على المتحدثينا

(١) ذو مرخ محركة واد بالحجاز (٢) الاشفى المثقب والمراد بخرزهِ ويثقب والشفرة السكين العظيم

وقلت لامرأتي

أطوّف ما اطوّف ثم آوي الى بيت قعيدتهُ لكاعِ

فقال عمر فكيف هجوت نفسك فقال اطلعت في بئر فرأيت وجهي فاستقبحتهُ فقلت :

ابت شفتاي اليوم الاّ تكلّما بسوءٍ فما ادري لمن انا قائلهْ
ارى لي وجهاً قبّح الله خلقهُ فقُبّح من وجهٍ وقبح حاملهْ

ولما بلغ التهاجي بين عبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن بن ام الحكم ارسل يزيد بن معاوية الى كعب بن جعيل فقال لهُ ان عبد الرحمن بن حسان فضح عبد الرحمن بن ام الحكم فاهجُ الانصار فقال ارادني انت الى الاشراك بعد الايمان لا اهجو قوماً نصروا رسول الله (ص) ولكن ادلك على غلام مناضري فدلّهُ على الاخطل فارسل اليهِ فهجا الانصار وقال فيهم :

ذهبت قريش بالمكارم كلها واللؤم تحت عمائم الانصارِ

وكان مع معاوية النعمان بن بشير الانصاري فلما بلغهُ الشعر اقبل حتى دخل على معاوية ثم حسر العمامة عن رأسهِ وقال يا معاوية هل ترى من لؤم قال ما ارى الاّ كرماً قال فما الذي يقول فينا عبد الارقم ذهبت قريش البيت قال قد حكّمتك فيهِ قال والله لارضيت الاّ بقطع لسانهُ ثم قال :

معاويَ الاّ تعطنا الحق نعترف لحى الاسد مشدوداً عليها العمائمُ
ايشتمنا عبد الارقم ظلمةً وماذا الذي تجري عليك الارقمُ
فما ليَ ثار دون قطع لسانهِ فدونك من ترضيهِ عنك الدراهمُ

فقال معاوية قد وهبتك لسانهُ وبلغ الاخطل فلجأ الى يزيد بن معاوية فركب يزيد الى النعمان فاستوهبهُ اياهُ فوهبهُ لهُ . وقد هجا الانصار معاوية "باشدّ من وخز الاسل" كما قال وقرّعوهُ لما عاتبهم على ذلك باشد من طعن الابر

وما أبعد ان الامويين لم يجدوا شاعراً يمدحهم ويذم اعداءهم الاّ الحطيئة وهو شاعر متوسط الشعر. وكان الكميت بن يزيد يمدح بني هاشم ويعرّض ببني أمية فطلبهُ هشام فهرب منهُ عشرين سنة لا يستقر بهِ القرار من خوف هشام . وكان مسلمة بن عبد الملك لهُ على هشام حاجة في كل يوم يقضيها لهُ ولا يردهُ فيها فلما خرج مسلمة بنّ عبد الملك يوماً الى بعض صيودهِ اتى الناس يسلمون عليهِ واتاهُ الكميت بن زيد فانشدهُ شعراً يمدحهُ بهِ ويأمل الخير على يديهِ فادخلهُ الى هشام وخطب امامهُ خطبة دعت الى ان يرضى عنهُ ويجزل عطاءهُ . ومن العجب

ان الكميت يخاف هشاماً عشرين عاماً ودعبل الشاعر يقول اني لاحمل خشبتي منذ خمسين عاماً ولا اجد من يصلبني عليها

هذا وقد جرت العادة ان يختص كل شاعر بدولة اوامير او عظيم يجعله بيت قصيده ومحك قريحته ويعادي من يعادي ويراد من يواد . ولقد ركب الفقيه عمارة بن علي اليمني متن عماية في مدحه الدولة الفاطمية وتعريضه بدولة صلاح الدين يوسف لما دك هذا معالمها في مصر فاغرى بعض رجال القطر في ذاك العصر ومنهم قاضي القضاة هبة الله بن الكامل وعبد الصمد الكاتب وداعي الدعاة ابن عبد القوي وبعض امراء صلاح الدين على القول بقوله وكاتبوا الافرنج ليقدموا ويشتغل بهم صلاح الدين ليعيدوا بذلك الحكومة العبيدية فلما اكتشف الملك الناصر ما دبروه صلبهم كلهم . على انه لم يختلف نقدة التاريخ في ان دولة صلاح الدين كانت صلاحاً للدين والدولة . وقيل انه نسب اليه بيت من قصيدة ذكروا انه يقول فيها :

قد كان اول هذا الدين من رجل سعى الى ان دعوه سيد الامم

قال العماد ويجوز ان يكون هذا البيت معمولاً عليه فافتى فقهاء مصر بقتله وحرضوا السلطان على المثلة بمثله . وفي الحديث رواية عن الحسن البصري لا تزال هذه الامة تحت يد الله وفي كنفه ما لم يمار قراؤها امراءها ولم يترك صلحاؤها اشرارها ولم يمار اخيارها اشرارها فاذا فعلوا ذلك رفع عنهم يده ثم سلط عليهم جبابرتهم فساموهم سوء العذاب وضربهم بالفاقة والفقر وملأ قلوبهم رعباً

هذا ما علق في صحيفة الذاكرة من احوال شعراء العرب قديماً ومنها يؤخذ شيء في اخلاقهم واخلاق امرائهم . والامة بعظمائها ورؤسائها بل بعلمائها وشعرائها . بقي ان اقول هل ارتقت الحال في العصور المتأخرة عن ذي قبل وشرع شعراؤنا يمدحون بعقل ويهجون برؤية فالجواب ان الشعر نموذج من ارتقاء الامة واذ قد بلغت الامة في القرون الحديثة اقصى دركات الانحطاط فالشعر كان له مثل هذا الحظ ولم تعد اليه بعض حياته السالفة الا منذ نحو خمسين عاماً وقد نبغ في مصر والشام شعراء فلما جاء مثلهم منذ ستة قرون وتجرد بعضهم عن الدنايا وانشأوا يدخلون الى العيش من ابوابه يمدحون ويهجون ويشببون ويصفون والصدق رائدهم في الغالب . خل عنك من قلدوا الافرنج في منظوماتهم وموضوعاتهم بحيث انقلبت دباجة الشعر العربي في بضع سنين وغدا الشاعر الذي يضرب على منوال شعراء القرون الوسطى مبتذلاً لا يؤبه له . فعسى ان يظل شعراؤنا متوفرين على تربية نفوسهم توفرهم على ترقية مناهجهم الشعرية وحبذا يوم ينبغ فيه للامة شعراء يهدونها سبيل رشادها ويصفون لها ضعفها

وفسادها بلسان من جوامع الكلم يتغنى به الطفل في ملعبه والرجل في حقله ودكانه ومصنعه والمرأة وراء سرير ولدها وفي بيتها . ها قد نظم بعض الشعراء ممن سلف الالماع اليهم آنفاً ابياتاً مابرح الناس يتناقلونها جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن فهلاَّ اقتدى بعض شعرائنا بهم وخاطبوا الشعور والعواطف وسعوا الى ترقية الافكار والوجدانات وكفوا اذاننا مؤونة استماع الاماديح والاهاجي والمراثي

متى نبغ بيننا شاعر مثل غوركي الروسي الذي اخذ على نفسه الطواف في بلاد روسيا ونظم القصائد الرنانة في الشكوى من ظلم الظالمين والضرب على ايدي المستبدين المسرفين يعلمها الفلاحين والمدنيين وحكومته تقتص اثره منذ سنين وكلما زادت في تأثره زاد تأثرًا وجرأة وضاعف حملاته على من هم الخراب في اعمدة العمران والداء الدوي في جسم الانسان. متى نبغ بين اظهرنا شعراء كالشاعرين شيلر وكيتي الالمانيين اللذين بلغا بامتهما بما نظما مبلغاً رفيعاً من الحضارة ومتى قام بين ظهرانينا شعراء كفولتير وجان جاك روسو قلبا هيئة فرنسا ونظامها المدني والديني — متى نبغ امثال هؤلاء فقل يومئذ بان اخلاق الشعراء ارتقت وانهُ يرجى لنا الخير في القريب العاجل

يا اسفاً كل الاسف للشعر الجيد يصرفهُ شاعره في سوق الكساد ببيعهُ من امير ما اظنهُ يقدره قدره تعلَّق به ونُسب اليه نسبة ابي نواس وابي العتاهية لهارون الرشيد وراح يعطيه في كل شارقة وبارقة من ضروب الاطراء ما لا يكاد يليق بالرشيد والمأمون وهو مع هذا لاينال من ممدوحه لقاء عنايته ثمن الورقة ولا كفارة الكذب . وما كان الاجدر بديوانه لو قصر على الحكم والامثال واصلاح الحال والمآل لو فعل هذا لاتخذ البدو والحضر شعره اغاني يتعنون بها في افراحهم واتراحهم وعدوه صناجة العرب وديم الطرب . والامة التي لا تطرب لجيد القول لا تعرف للشعور معنى ولا تقيم للاحساس وزناً

ولو ان اهل (الشعر) صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعُظِّما
ولكن اهانوه فهان ودنسوا محياه بالاطماع حتى تجهَّما

دمشق محمد كرد علي